تدريس العلوم باللغة العربية

افتحاص ميداني: النجاحات والعوائق والآفاق

الأستاذ المصطفى بنان
أستاذ جامعي، الدار البيضاء
متخصص في اللسانيات التطبيقية

نعيد هنا نشر استبيان حول نجاعة تعريب المواد العلمية بإحدى ثانويات الدار البيضاء بعد ربع قرن من إجرائه (1991) لأن الوضع ظل على ماهو عليه: لاتقدم في سيرورة التعريب إلى التعليم العالي،بل برزت إرهاصات التراجع بمناورات التدريج والفرنسة بذريعة فشل التعريب وضرورة مراجعة لغة التدريس لمعالجة فشل التعليم بزعمهم. والمدرسة العمومية المغربية في ظرف حاسم والمغرب يمضي في خيار "الإصلاح في ظل الاستقرار" ولا مناص من المحافظة على مكتسبات تعريب تدريس المواد العلمية والسعي إلى تعريب متدرج لمسالك في التعليم العالي العلمي بتوفير العدة البيداغوجية وتدريب المدرسين. وتنفيذ القوانين والمراسيم الداعية إلى تعريب الإدارة. والعمل على تعريب عقلاني متدرج للمرافق الحيوية.لحماية الهوية الحضارية وتحقيق التنمية.

افتحاص ميداني لتعريب المواد العلمية بالتعليم الثانوي

اجتاز أول فوج من التلاميذ الذين درسوا العلوم باللغة العربية امتحانات البكالوريا في الموسم الدراسي 1990-1991 .ليواجهوا بعد ذلك تعليما مفرنسا بالكامل في المعاهد والكليات العلمية. مما ساهم في خلق حالة من القلق من هذه الفوضى اللغوية. ومن التساؤل عن جدوى التعريب وعن نجاعته ونجاحه وإمكانات تمديده إلى الجامعة. في هذا السياق من الترقب، عاما واحدا بعد ذلك، تم إجراء استبيان حول نجاعة تعريب المواد العلمية بإحدى ثانويات الدار البيضاء، حيث وجهت ستة أسئلة إلى عينة من 141 تلميذا وتلميذة من المستويات الثلاثة الثانوية التجريبية والرياضية وكانت النتائج كالآتي[1] :

1. ما هي المادة العلمية التي تبرز فيها مشكلة اللغة أكثر ؟

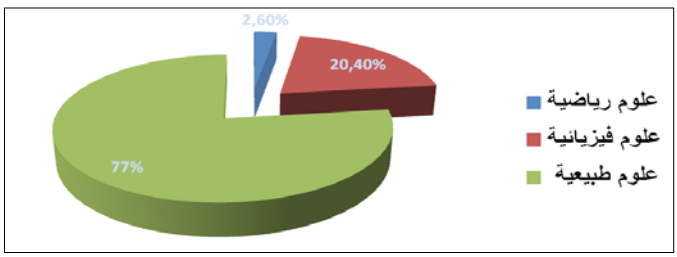

2. في حالة صعوبة استيعاب المعطيات العلمية، هل تكون اللغة الواصفة مسؤولة ؟ :

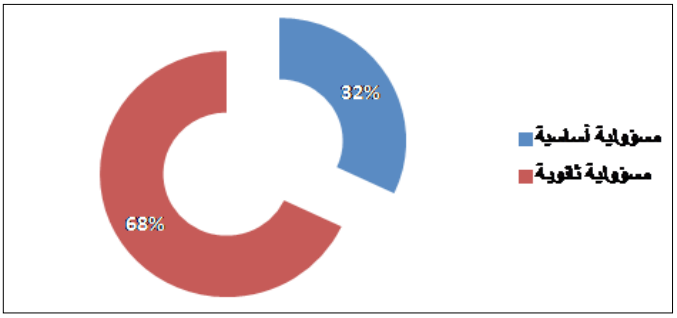

3. هل تفضل تعريب الرموز الرياضية أيضا؟ :

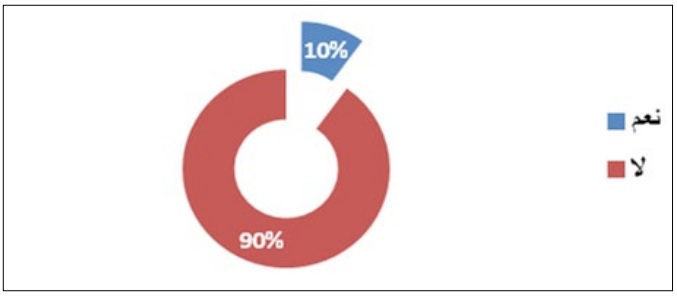

4 . هل تفهم المعطيات العلمية باللغة العربية أحسن منها بلغة أخرى؟ :

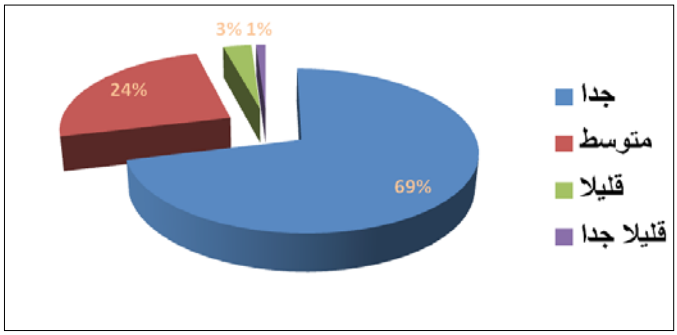

5. هل المصطلحات العلمية المعربة واضحة ودقيقة ومناسبة؟ :

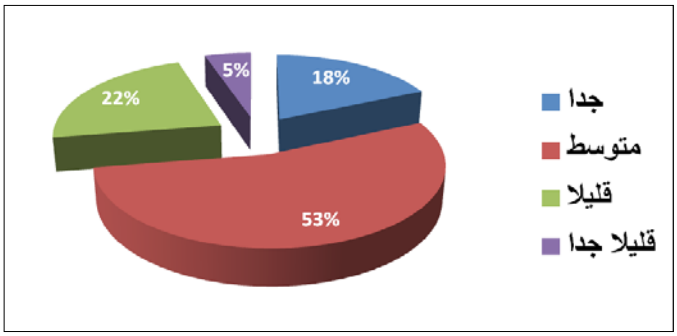

6. هل أنت مطمئن إلى قدرتك على مواصلة دراستك العلمية الجامعية باللغة الفرنسية؟

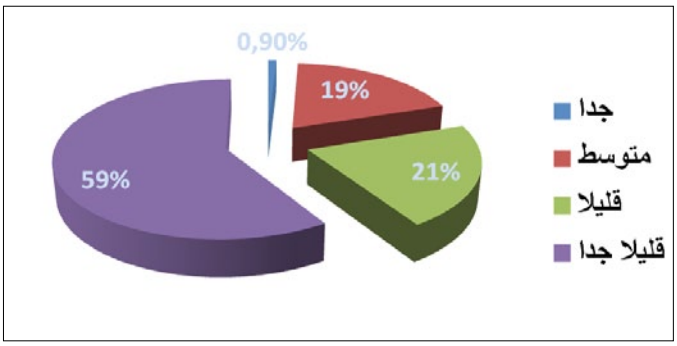

يتبين من نتيجة الاستبيان عن الأسئلة 3-4-5 أن الغالبية راضية نسبيا عن تعريب المواد العلمية : 90 % يفضلون الوضع الحالي للرموز الرياضية و69 % يفهمون المعطيات العلمية جيدا بالعربية و 53 % يقومون وضوح المصطلحات المعربة ودقتها بالمتوسط.

أما نتيجة السؤال 6 فتكشف عمق الأزمة والباب المسدود الذي انتهت إليه سياسة التعريب: 80 % يعبرون عن قلقهم على مستقبلهم في جامعة مفرنسة. ولعل هذا يفسر النزوح الجماعي لحملة الباكالوريا العلمية منذ الدخول الجامعي 1990-1991 إلى الشعب الأدبية والحقوقية. كما يفسر النسبة المهولة من الرسوب والتسرب في الكليات العلمية. فضلا عن ضعف المستوى العلمي للخريجين.

النجاحات والفرص

- تجاوز المدرسين مشاكل الانتقال من التدريس بالفرنسية إلى التدريس بالعربية.
- تجاوز مشاكل العُدة البيداغوجية: المصطلح. الترجمة. الكتاب المدرسي. التأليف...
- رضى غالبية التلاميذ عن تعريب المواد العلمية لتسهيله تعلمهم.
- ارتياح أغلبية المدرسين للتعريب لمساهمته في اقتصاد الكلفة و تنمية الأداء التعليمي و تحسين النتائج.
- صدور توصيات الميثاق الوطني للتربية والتكوين(1999):
  - بفتح شعب للبحث العلمي المتطور والتعليم العالي باللغة العربية في المستقبل.
  - بإنشاء أكاديمية محمد السادس للغة العربية.
- المقتضيات الدستورية الجديدة بخصوص اللغة العربية (2011).
- الثروة المعجمية التخصصية المحصة في مؤتمرات تنسيق التعريب: (عشرات المعاجم المختصة وعشرات الآلاف من المصطلحات).

العوائق والتحديات

- استمرار التعصب الفرنكفوني الذي يفرض الفرنسية لغة أحادية للشُعب والمعاهد العلمية. رغم اندحار هذه اللغة عالميا.
- استمرار هيمنة الفرنسة في الإدارة والمرافق العامة. ضدا على المقتضيات الدستورية والمراسيم الوزارية.
- الترويج للفرنسية من مرحلة الروض كلغة للحظوة وضمان المستقبل.
- محاولات تخميل التعريب مسؤولية ضعف مستوى التعليم والتلويح بالتراجع عنه.
- الترويج للبكالوريا الفرنسية بمسمى الدولية والعمل على محاباة أقسامها بظروف متميزة وباستقطاب أنجب التلاميذ مقدمة لتراجع محتمل عن التعريب.
- إبقاء توصيات الميثاق حبرا على ورق بإصرار أصحاب القرار على عدم اتخاذ أية خطوة في اتجاه تعريب أي مسلك في التعليم العلمي العالي.
- الإصرار على إقبار أكاديمية محمد السادس للغة العربية رغم صدور مرسوم تأسيسها (يوليوز 2003).
- اصطناع ودعم دعوات التلهيج الفولكلوري التي تشاغب على اللغة العربية وتشاغلها بمعارك جانبية لتأبيد الهيمنة الفرنكفونية.

الآفاق

اللغة العربية عالميا في موقع مطمئن وواعد بمستقبل أفضل. حيث يتكلمها ما يقارب ثلاثمائة مليون شخص في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. ويتداولها جزئيا أزيد من مليار ونصف مسلم في تشهدهم وتعبدهم. بكثير من التعلق الروحي والحضاري بهذه اللغة التي أنزل بها القرآن. والعربية اليوم هي من بين عشر لغات الأكثر حيوية في العالم[2]. و من بين اللغات الستّ المعتمَدة في هيئة الأُمَم. كما أنها معتمدة في هيئات إقليمية أخرى كمنظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة الوحدة الإفريقية و منظمة الألكسو والإيسيسكو. وهي اللغة الثالثة عالميا من حيث استعمالها لغةً رسمية

في 25 دولة بعد الإنجليزية (45 دولة) والفرنسية (30 دولة). كما أنها اللغة الأولى في البحر الأبيض المتوسط، من حيث عدد الناطقين بها، وتحتل الترتيب نفسه في إفريقيا حيث يتكلمها ثلث سكان القارة. وقد بلغ عدد الناطقين باللغة العربية ضمن مستخدمي شبكة الأنترنيت أزيد من 60 مليونا مستخدم من أصل 1.8 مليار مستخدم؛ أي ما نسبته 3.3% [3]. وشهدت الفترة ما بين عام 2000 وعام 2009 زيادة أكثر من 2000 % في معدل استخدام اللغة العربية على شبكة الإنترنت، وعرف استخدام المواقع الاجتماعية على الشابكة زيادة هائلة أثناء الربيع العربي وما بعده[4].

و اللغةَ العربية تستعمل في عشرات القنوات الفضائية الإخبارية والوثائقية، فضلا عن مئات الفضائيات المتنوعة وآلاف الصحف اليومية والأسبوعية ومئات المجلات ومئات الجامعات والمعاهد والكليات وآلاف الإصدارات السنوية في مختلف المعارف والعلوم. كما تملك اللغة العربية اليوم ثروة معجمية كبيرة محصة في مختلف التخصصات العلمية الحديثة، تؤهلها لمواكبة العصر وخوض غمار البحث العلمي في ظل العولمة والتسابق المحموم. والطلب العالمي لتعلم العربية يتزايد باطراد لغايات دينية وثقافية واقتصادية وديبلوماسية وغيرها.

إن اللغة العربية أمامها بالمغرب استحقاقات التنزيل السليم للمقتضيات الدستورية: بالتجسيد الحقيقي للطابع الرسمي، وإخراج قانون اللغة العربية، و إنشاء أكاديمية محمد السادس للغة العربية.

لقد أعدنا نشر ذلك الاستبيان بعد ربع قرن من إجرائه لأن الوضع ظل على ماهو عليه: لاتقدم في سيرورة التعريب إلى التعليم العالي، بل برزت إرهاصات التراجع بمناورات التدريج والفرنسة بذريعة فشل التعريب. وضرورة مراجعة لغة التدريس لمعالجة فشل التعليم بزعمهم. والمدرسة العمومية المغربية في ظرف حاسم والمغرب يمضي في خيار "الإصلاح في ظل الاستقرار" ولا مناص من المحافظة على مكتسبات تعريب تدريس المواد العلمية والسعي إلى تعريب متدرج لمسالك في التعليم العالي العلمي بتوفير العدة البيداغوجية وتدريب المدرسين، وتنفيذ القوانين والمراسيم الداعية إلى تعريب الإدارة، والعمل على تعريب عقلاني متدرج للمرافق الحيوية لحماية الهوية الحضارية وتحقيق التنمية.

المراجع

1. أجري هذا الاستبيان بثانوية الحسن الثاني بالدار البيضاء على عينة من 141 تلميذا من المستويات العلمية الأولى والثانية والثالثة (ماي 1992).
2. اعتمادا على المعايير التسعة في تقريرُ الخبراء الصادر عن منظمة اليونسكو عام 2003 حول حيوية اللغات واندثارها.
3. Internet World Stats موقع
4. انظر مقال عبد العلي الودغيري وضع اللغة العربية في عصر العولمة وتحدياتها موقع مجمع اللغة العربية الأردني23 نونبر 2011م.

أول أطروحة لتعريب مقررات طب الجهاز التنفسي بالمغرب بكلية الطب بفاس

الطالبة غزلان سليماني

اختتمت أطروحات كلية الطب بفاس لسنة 2014 بأول أطروحة لتعريب مقررات طب الجهاز التنفسي من أساسياته إلى علم الأعراض و علم الأمراض مع معجم فرنسي عربي مفصل للمصطلحات الطبية. الأطروحة التي طبعت في 361 صفحة قدمت ونوقشت برحاب الكلية يومه 31 دجنبر 2014 من طرف الطالبة غزلان سليماني وبتأطير من الأستاذ محمد البياز الأخصائي في طب الجهاز التنفسي وطب النوم بكلية الطب بفاس. أكدت لجنة التحكيم على أهمية الأطروحة خاصة وأنها تشتمل على منهجية للتعريب واضحة يمكن استعمالها مستقبلا لتعريب مختلف المقررات الطبية في بلادنا وفيما يلي ملخص البحث كما ورد في الأطروحة:

تعتبر اللغة الوطنية أهم وسيلة للتكوين العلمي في أغلب بلدان العالم المتقدم، لذا فتعريب الطب يصبح ضرورة لايُنكر أحد إمكانية تحققها بتظافر جهود الباحثين و المهتمين.

في هذه الأطروحة، حاولنا تعريب الدروس المقررة ضمن تخصص الجهاز التنفسي تحديدا مع مصطلحاتها. كما أدرجنا أسس منهجية العمل المتبعة في الترجمة وتوليد المصطلح.

وتطرق البحث إلى المصطلحات الطبية من خلال:

- جرد المصطلحات الطبية الفرنسية وتعريبها.
- إعادة الصياغة باللغة العربية للمواضيع.
- وفي الأخير تم ترجمة دروس أعراض وأمراض الجهازالتنفسي إلى اللغة العربية استعانة بهذه المصطلحات واستنادًا إلى ملحق لغوي شامل.

وتتلخص نتائج أطروحتنا في النقاط التالية:

- التأكيد على أهمية اللغة العربية وقدرتها على استيعاب المصطلحات الطبية والعلمية الحديثة، ومسايرة التطور العلمي.
- إنجاز مرجع للترجمة سيساعد الأطباء والطلبة في تكوينهم الطبي.
- مساعدة المحاضرين الراغبين في إلقاء محاضراتهم باللغة العربية حول مبحث علم أمراض الجهاز التنفسي، حتى تتسنى ملاءمة نقل المعلومة والتواصل بشكل منسجم مع واقعنا المغربي.
- مساعدة الأطباء على تحسين علاقتهم التواصلية مع المرضى.

إن المنهجية المتبعة في أطروحاتنا تعتبر لبنة أساسًا تُيسر للباحثين ترجمة مختلف التخصصات، كما أن الجانب النظري في أطروحتنا يتطلب تتميمًا بأطروحات أخرى تتناول الجانب التطبيقي.